وخلاصة ما تقدم ان المعتقدات المبنية على خروج النفس من الجسد ورجوعها اليه مرتبطة معاً ارتباطاً معقولاً . ومن نتائجها انهُ اذا امكن لنفس الانسان ان تخرج منهُ وتعود اليهِ امكن ايضاً لنفسٍ اخرى ان تدخلهُ مدة غياب نفسهِ عنهُ والاَّ فكيف يمكن للصروع ان يعمل اعمالاً كثيرة مدة صرعهِ ولا يذكر شيئاً منها بعد ما يفيق . ولا يمكن تعليل مايأتيهِ الانسان في اليقظة رغماً عنهُ كالعطاس والتثاؤب وما اشبه الاَّ بان روحاً غريبة دخلت جسدهُ حال وجود روحهِ فيهِ . وما الجنون سوى حلول الارواح الغريبة في الجسد ولولا ذلك ما كان المجنون يؤذي نفسهُ . وكما ان الارواح سبب الامراض العقلية فهي ايضاً سبب الامراض الجسدية والموت . فاذا لم يكن العفريت في الجسد فهو على مقربة منهُ يرشقهُ بنبالهِ او يطعنهُ بحرابهِ . وقد ينسبون الموت الى فعل الارواح ولو كان سببهُ ظاهراً فاذا زلت قدم انسان ووقع الى اسفل وادٍ عميق او اذا اصابهُ رتج في قلبهِ قالوا ان روحاً شريرة جذبت رجلهُ واوقعتهُ وان يد الجن حملت رأس الرتج الى قلبهِ فاوردتهُ حتفهُ

لكن اختيار الناس في هذه الاوهام رويداً رويداً واحلَّ الاسباب الطبيعيَّة محل الاسباب الوهمية في هذه الاشياء كما في غيرها من سائر ملابسات الانسان . فكما نعتقد الآن ان الحرث والتسميد والري تنمي المزروعات وتجيدها معاً كان معتقد صاحبها نعتقد ايضاً ان للامراض والآفات اسباباً طبيعية وان علماء الطب والطبيعة ساعون في معرفة هذه الاسباب وازالة ما تمكن ازالتهُ منها

فن الانشاء

قلما طلب احد العلم الاَّ وودَّ لو يكون في عداد الكتَّاب الذين يصوغون من الالفاظ عقوداً بديعة المعاني ويكرون الذهن بكؤوس من البيان تدار على نغم المعاني . ولقد اهتمَّ كثيرون من ايام اليونان والرومان بوضع قواعد تسهِّل على المرء امتلاك ناصية الانشاء والجري في حلبة الكتَّاب فتسنَّى لهم ايجاد الكتاب المصنوع ولكن لم يتسنَّ ايجاد الكاتب المطبوع وشتَّان بين هذا وذاك

وقد اطلعنا الآن على خطبة بديعة في هذا الموضوع للكاتب الانكليزي الشهير فردرك هريسن وهو من كتب رجال الانكليز وابلغهم تلاها في جمعية الكسفرد الادبية وقال فيها

ان اشهر ما كُتب في الانشاء رسالة هوراس (١) وقد استظهرها القرامحق صارت من محفوظاتهم ولكنها لم تصير احداً منهم منشئاً. واحكمه البديعة مثل قوله ايّاك والايجاز اذا كان فيه غموض. لا تدع الجبل يلد فارة. درس كتب الادب نهاراً وليلاً. لا تقتصر على تجنب الخطاء في ما تكتبه بل ترجّ فيه ان يسرّ القلب ويبهج النفس. ونحو ذلك من القواعد والحكم تصلح ان تُدوّن بها المقالات ولكنها نثور لا غذاء فيها

وفولتير وهو اشهر المنشئين بالفرنسوية او غيرها من اللغات الحديثة كتب رسالة في الانشاء جرى فيها مجرى هوراس من وضع الاحكام كقوله "تجنّب تقعير العبارة والمبهم والحوشيّ والمبتذل" وكأنه قال كن قوياً مثل سندو الجبار ونشيطاً مثل البرنس نرفي ! وهو بمثابة قوله كن حليماً كعن وحكيماً كلقمان !

ثم قال هريسن ان استاذاً من اساتذة الانشاء الّف كتاباً منذ مدة وجيزة ضمّنه كل ما يمكن ان يكتب في صناعة الانشاء وختمه بقوله "ان الانشاء لا يمكن ان يعلّم" ولو بدأ المكتاب بهذه العبارة لاستغنى عن تأليفه وراح القراء منه لان عبارته على ضد ما يتوخاه طالب هذا الفن

وليس الانشاء علماً يعلّم في المدارس بل هو طبع او صفة في النفس. هذا هو الانشاء البليغ الذي اراده هوراس وفولتير واشتهر به مشاهير الكتّاب اما الانشاء بمعناه المعتاد اليوم المقتدرة على كتابة مقالة او رسالة خالية من الغلط اللغوي والركاكة البيانية فليس مما يتعذّر بلوغه اذا حفظت قواعد الصرف والنحو والبيان واكثر المنشئ من مطالعة كتب الادب ودواوين الشعر

ثم ان الانشاء البليغ يُنظر فيه الى اللفظ والمعنى. والمعاني التي تفرغ في قوالب الالفاظ ليست مما ينالهُ الانسان عفواً بل لا بدّ لتحصيلها من درس كثير في مختلف العلوم والفنون فتى حصلت وفاضت من النفس حسُن ان تُلبس دياجة الالفاظ الفصيحة والتراكيب المكينة ولكن يجب ان لا يخالف فيها مقتضى الطبع. قال هريسن ان كل قوانين الانشاء يمكن حصرها في عبارة مدام ده سفنيه في رسالتها العشرين لابنتها وهي "لا تحولي عما هو طبيعي" فقد جرت على ذلك وهذا هو الانشاء البليغ". فعلى من يتوخّى بلاغة الانشاء ان يجري على مقتضى الطبع ويتجنّب كل تصنّع وتقليد ويتطلّب السهولة في التعبير والبساطة في التركيب واظهار المراد كله وبذلك يكون الانشاء صحيحاً بليغاً. وهذا رأي موليير ايضاً وهو من ائمة

(١) شاعر يوناني ولد سنة ٦٥ قبل المسيح

اللغة الفرنسوية ومن اشهر الكتّاب فيها. وقد عدَّ سنت بوف الفلاحين كلهم من ارباب الانشاء البليغ لانهم يتكلمون كما يوحي اليهم طبعهم ولا يتلاعبون في الكلام

ومن رأي هريسن ايضاً ان ارباب الانشاء النثري في اوربا الآن فرنسويون كلهم وان الانكليز لا يجارونهم في ذلك ووافقهم في الانشاء الشعري. ثم قال ان اكبر مشيء بين ارباب الانشاء النثري هو افلاطون الحكيم كما ان اكبر شاعر بين ارباب الانشاء الشعري هو هوميروس . وان بلاغة الشعر سبقت بلاغة النثر اذ قام هوميروس قبل افلاطون باربعة قرون او خمسة ولوقريشيوس قبل تاشيطس ودانتي قبل مكيفلي[٢] . والنثر البليغ اندر من الشعر البليغ

ثم قال قد يقترح عليَّ بعض الشبان ان اشير عليهم بما اراهُ لازماً لاكتساب صناعة الانشاء ولا ادري لماذا يطلبون الانتظام في عداد المنشئين فان المورد ليس عذباً وقد صار كثير الزحام ولكن اذا كان لا بدَّ من اجابة طلبهم فاول ما اشير به على المبتدىء ان يتصوَّر المعنى الذي يريد التعبير عنهُ حتى يتجلى لهُ تمام الاجلاء ثم يعبّر عنهُ بالفاظ مألوفة كأنهُ يكلم صاحبهُ . ولا بدَّ لهُ من ان يتجنَّب الالفاظ الوحشية والزقاقية ؛ وهذا القانون سهل الجري عليهِ في اللغة الانكليزية لان ابناءها يكتبون كما يتكلمون اما نحن ابناء العربية فنتكلَّم لغة ونكتب اخرى ونفكر باللغة العاميَّة ونكتب بالمعربة !

واشير عليهِ ثانياً ان يقصّر الجُمَل فلا يضع في الجملة الواحدة اكثر من عشرين او ثلاثين كلمة لكن بعض كبار المنشئين ينظم مئة كلمة في الجملة الواحدة ولا يخلُّ ذلك ببلاغتها

وثالثاً ان يجتنب الاصطلاحات العلميَّة والتوربة بها . ورابعاً ان يجتنب الشواهد المبتذلة التي لاكتها الالسنة ومجتها الاسماع لكثرة الاستشهاد بها . وخامساً ان يجتنب التقليد مطلقاً فلا يقلد احداً من الكتّاب مهما كانت طبقتهُ رفيعة . وكل كاتب قلّدهُ الناس وجروا في خطتهِ ونسجوا على منوالهِ فقد افسد اللغة لأن الذين يقلدونهُ لا يبلغون مداهُ بل يرسمون صورة ممسوخةً عن صورة اصلية . وسادساً ان يكثر من مطالعة المؤلفات البليغة . ثم عدَّد هذه المؤلفات وقال ان ابلغها كلها التوراة الانكليزية

ويظهر بادىء بدء ان هريسن ناقض نفسهُ بعدم ذكرهِ هذه القواعد بعد ان قال ان رسالة هوراس لم تصغ احداً منشئاً . والحقيقة التي لا ريب فيها ان الوسائل التي اشار بها كبار الكتّاب من هوراس الى هريسن انما هي الآن وسائل الانشاء الطبع كما قال

(٢) لوقريشيوس شاعر روماني ولد سنة ٩٥ قبل المسيح وتاشيطس مؤرخ روماني ولد سنة ٥٥ للمسيح ودانتي شاعر ايطالي توفي سنة ١٣٢١ ومكيفلي كاتب سياسي فلورنسي توفي سنة ١٥٢٧

ابن الاثير في المثل السائر "واذا لم يكن ثمَّ طبع فلا تغني تلك الآلات شيئاً"

ويظهر لنا ان علماء العرب فاقوا غيرهم في البحث عن الانشاء والبلاغة والاتجاها ومقوماتها مما ذكرهُ هربرت شبيه بما كتبهُ ابن خلدون وابن الاثير والجرجاني والزمخشري والسيوطي والعسكري والماوردي ونحوهم من علماء البيان كما سيجيء

قال الوزير ضياء الدين بن الاثير في مقدمة كتابهِ الوشي المرقوم في حل المنظوم ما نصهُ

"اعلم ان الكاتب يحتاج الى التثقف بكل فن والنظر في كل علم وارصاد السمع لمحاورات الناس فانهُ لا يعدم من ذلك فائدة فان كلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو احق بها. وقد تتبعتُ اقوال الناس في محاوراتهم فاستفدت بذلك فوائد كثيرة حتى من الكفار وفلاح واعجمي من الاعجام الاغنام ومن يجري مجراهم. وقد تصدر كلمة الحكمة من الجاهل بمكانها وربَّ رمية من غير رام. وعلى كل حال فان صاحب هذه الصناعة ينبغي لهُ ان يعلم ما تقولهُ النادبة في المأتم وما تقولهُ الماشطة عند جلوة العروس وما يقولهُ المنادي في السوق على السلعة. فدع ما وراء ذلك

وليس فن الكتابة كغيرهِ من فنون العلم فان كل علم لهُ حاصرٌ وضابط ويرجع صاحبهُ فيهِ الى السطور فترى المذهبي او الجدلي إما ان ينقل مسألة يستفتى فيها واما ان يجادل في مسألة فعليهِ ان يتقن نقل السطور ان كان مذهبياً ويجيد في المجادلة بتحسين الكلام ان كان جدلياً. وكذلك ترى النحوي في ما يدرسهُ في علم العربية وكذلك الحاسب والطبيب وغيرهما. واما الكاتب فانهُ لا حاصر لهُ فيما يحتاج اليهِ من فن الكتابة لانهُ مكلف ان يأتي بما يقولهُ من ذات خاطرهِ والمعاني المستخرجة من الخواطر كعدد الرمل اكثاراً او القطر اوتاراً. فينبغي لهُ على ذلك ان يطَّلع في هذه العلوم جميعها ولا اريد بذلك ان يكون عالماً فان هذا غير ممكن وانما ينبغي لهُ ان يشمَّ رائحة كل علم او يتشبث منهُ بشيء يدخل في صناعتهِ. وخطب في هذا كبير لكن وجدتُ خلاصة ما يحتاج الكاتب اليهِ ثلاثة اشياء. الاول حفظ القرآن الكريم. الثاني حفظ ما ينبغي لهُ حفظهُ من الاخبار النبوية. على ان الاخبار لا يمكن الاحاطة بحفظها كما يمكن الاحاطة بحفظ القرآن وانما يأخذ منها ما يدخل في هذه الصناعة وهذا يحتاج الى فضل معرفة وثاقب نظر حتى يؤخذ منهُ ما يؤخذ ويترك ما يترك. وكنت اتعبت نفسي زماناً في ذلك حتى جمعت فيهِ كتاباً يشتمل على اكثر من ثلاثة آلاف خبر من الاخبار النبوية كلها يحتاج اليهِ في اسباب الكتابة وكنت ألزم مطالعة ذلك الكتاب لزوم الحفظ. ولا ازال في مطالعته كالخائف المرتحل. حتى صار لديَّ منضوداً. وبلساني فيَّ معقوداً. الثالث حفظ

الاشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد مما يكون كل بيت منهُ في الجودة بمنزلة قصيدة من غيره

ومن الناس من ذهب الى الاكثار من حفظ الخطب والرسائل لمن تقدمهُ وانا لا ارى ذلك لامرين احدهما انهُ لا يعلق بالخاطر شيء مما سبق اليهِ غيري من ارباب الكلام المنثور. الاخر ان المعنى في الكلام المنثور اذا نُقل الى معنى في كلام منثور فربما بقي شيء من الفاظ المعنى الاول في ما يصوغهُ الآخر من الفاظهِ. ولقد حظرت على نفسي ان احفظ شيئاً من رسائل الناس وخطبهم حتى اني حظرت على نفسي حفظ شيء من مقامات الحريري وخطب ابن نباتة وهما عكاز اهل الزمان من متعاطي هذه الصناعة . وكل هذا فعلتهُ فراراً من ان يعلق بخاطري شيء من تلك الالفاظ والمعاني

فان قيل لمَ منعت من حفظ الكلام المنثور وحثثت على حفظ الاشعار والذي فعلت ذلك من اجلهِ في احد الطرفين يلزمك مثلهُ في الطرف الآخر فالجواب عن ذلك اني اقول اما الشعر فانهُ اكثر من الكلام المنثور باضعاف مضاعفة وليس نسبة احدهما الى الآخر نسبة قليل الى كثير فضلاً عن نسبة كثير الى كثير بل هو بالنسبة اليهِ كالزقة في ذراع الدابة او الشامة في جنب البعير . والكلام المنظوم هو الذي كان ديوان اهل الفصاحة في الزمن القديم اذا عددت منهم اية شاعر لا يمكنك ان تعد خطيباً واحداً. ثم استمرَّ الامر على هذه الصورة الى زماننا هذا فاستغرق الكلام المنظوم جميع المعاني فكان الاخذ منهُ اولى . وهو الذي وصف الله اهلهُ بانهم يهيمون في كل واد

والذي يعني على الإكباب على حفظ الشعر دون الخطب والرسائل اني اذا اخذت معنى من معاني الشعر واودعتهُ رسائلي كنت قد نقلت من ضد الى ضد وهو اخفى واستر ولو فعلت ذلك في الكلام المنثور لكان نقل مثل الى مثل وذلك اشهر واظهر فباعثي اذاً على حفظ الاشعار دون الكلام المنثور كثرة الشعر واستغراقهُ للمعاني ولان الاخذ منهُ استر واخفى

فاذا حصلت هذه الاسباب الثلاثة والفن الغالب تحصيلها اخذ في فن الكتابة فصار يهبُّ ويركد . ويقوم ويقعد . ويصدر ويورد . ويخلط الصحيح بالسقيم . ويمشي مكبًّا على وجههِ ثم سوياً على صراط مستقيم . وفي اول الامر لا يرى الاَّ صعوبة ووعورة وطريقاً مشكلة المذاهب كثيرة الشعاب فاذا اكره خاطرهُ على سلوكها وشجعهُ على توردها فما تمضي بهِ الاَّ هنيهة حتى يستمرَّ بهِ الطريق ويفسح لديهِ . واخلق بتلك الطريق ان تكون بديعة غريبة لا تشبه شيئاً من طرق المتقدمين. وهكذا فعلت انا في فن الكتابة. وربما سلك هذه الطريق قوم بعد تحصيل ما اشرت اليهِ من حفظ القرآن والاخبار والاشعار ثم تُظلم في وجوههم في مبدإ الامر فيعودون

عنها ولا يدرون الحلاوة من مرارة . والتعب على منازل العلياء امارة

وقال في كتابه المثل السائر " ان في الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور فوائد جمّة لانهُ يُعلَم منهُ اغراض الناس ونتائج افكارهم ويعرف به مقاصد كل فريق منهم والى اين تراست به صنعتهُ في ذلك . فان هذه الاشياء مما يشحذ القريحة ويزكي القطنة . واذا كان صاحب هذه الصناعة عارياً بها تصير المعاني التي ذُكرت وتعب في استخراجها كالشيء الملقى بين يديه يأخذ منهُ ما اراد . وايضاً فانهُ اذا كان مطلعاً على المعاني المسبوق اليها قد يقدح لهُ من بينها معنى غريب لم يُسبَق اليهِ " وكأنهُ خالف ما قالهُ في كتابه الموشي المرقوم والحقيقة انهُ رغّب في الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور لتكثر المعاني وتشحذ القريحة ولكنهُ لم يرغّب في حفظهِ فخالف في ذلك جماعة من كبار المنشئين مثل شهاب الدين الحلبي الذي اشار على طالب فن الانشاء ان يحفظ خطب البلغاء واشعار العرب القدماء والمحدثين وان ينظر في رسائل المتقدمين وكتب الامثال

وفصّل الكاتب المدقق ابن خلدون هذا الموضوع واشباههُ في مقدمته المشهورة فقال " ان ملكة اللسان العربي غير صناعة العربية لان صناعة العربية انما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصةً فهو علم بكيفية لا نفس الكيفية . وانما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع عملاً ولا يحكمها عملاً مثل ان يقول بصير بالخياطة غير محكم للملكتها في التعبير عن بعض انواعها الخياطة هي ان يدخل الخيط في خرت الابرة ثم يمررها في ثقبي الثوب مجتمعين ويخرجها من الجانب الآخر بمقدار كذا ثم يردها الى حيث ابتدأت ويخرجها قدام منفذها الاول بطرح ما بين الثقبين الاولين ثم يتمادى على ذلك الى آخر العمل " ويعطي صورة الحبك والتنبيت والتشجير وسائر انواع الخياطة واعمالها وهو اذا طولب ان يعمل ذلك بيده لا يحكم منهُ شيئاً . . . وهكذا العلم بقوانين الاعراب انما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل ولذلك نجد كثيراً من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين اذا سئل في كتابة سطرين الى اخيه او ذي مودته او شكوى ظلامة او قصد من قصده لحظاً فيها عن الصواب واكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على اساليب اللسان العربي . وكذا نجد كثيراً ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لا يحسن اعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور ولا شيئاً من قوانين صناعة العربية . فمن هذا تعلم ان تلك الملكة غير صناعة العربية وانها مستغنية عنها بالجملة

وقد نجد بعض المهرة في صناعة الاعراب بصيراً بمجال هذه الملكة وهو قليل واتفاقي

واكثر ما يقع للمخالطين لكتاب سيبويه فانهُ لم يقتصر على قوانين الاعراب فقط بل ملأ كتابهُ من امثال العرب وشواهد اشعارهم وعباراتهم فكان فيهِ جزءٌ صالح من تعليم هذه الملكة فتجد العاكف عليهِ المحصِّل لهُ قد حصل على حظ من كلام العرب واندرج في محفوظهِ في اماكنهِ ومفاصل حاجاتهِ وتنبَّه بهِ لشان الملكة فاستولى تعليمها فكان ابلغ في الافادة . ومن هؤلاء المخالطين لكتاب سيبويه من يغفل عن التفطُّن لهذا فيحصل على علم اللسان صناعةً ولا يحصل عليهِ ملكة " . . . الى ان قال "وتعلم مما قرَّرناهُ في هذا الباب ان حصول ملكة اللسان العربي (للطالب) انما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليهِ تراكيبهم فينسج هو عليهِ ويتنزَّل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالط عبارتهم في كلامهم حتى حصلت لهُ الملكة المستقرَّة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم "

وقال في مكان آخر انهُ " على قدر جودة المحفوظ وطبقتهِ في جنسهِ وكثرتهِ تكون جودة الملكة الحاصلة عنهُ للحافظ . فمن كان محفوظهُ شعر حبيب او العتابي او ابن المعتز او ابن هانىء او الشريف الرضي او رسائل ابن المقفَّع او سهل بن هرون او ابن الزيات او البديع الصابي تكون ملكتهُ اجود ورتبتهُ في البلاغة اعلى مقامًا ممن يحفظ شعر ابن سهل من المتأخرين او ابن النبيه او ترسُّل البيساني او العماد الاصبهاني لنزول طبقة هؤلاء عن اولئك، يظهر ذلك للبصير الناقد صاحب الذوق . وعلى مقدار جودة المحفوظ او النسوع تكون جودة الاستعمال من بعدهِ ثم اجادة الملكة من بعدها. فبالرقاء للمحفوظ في طبقتهِ من الكلام ترتقي الملكة الحاصلة لان الطبع انما ينسج على منوالها وتنمو قوى الملكة بتغذيتها "

ثم علَّل ذلك تعليلاً طبيعيًا فقال " ان النفس وان كانت في جبلتها واحدةً بالنوع فهي تختلف في البشر بالقوة والضعف في الادراكات واختلافها انما هو باختلاف ما يرد عليها من الادراكات والملكات والالوان التي تكيفها من الخارج فبهذه يتم وجودها وتخرج من القوة الى الفعل صورتها . والملكات التي تحصل لها انما تحصل على التدريج كما قدَّمناهُ . فالملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر وملكة الكتابة بحفظ الاسماع والترسيل والعلمية بمخالطة العلوم والادراكات والابحاث والانظار "

هذه خلاصة مذهبهِ ومذهب ابن الاثير واكثر من تقدَّمهم ومن نحا نحوهم وموقع الضعف في كلام ابن خلدون فرضهُ وحدة النفوس في جبلتها بالنوع وقصر اختلافها على "اختلاف ما يرد عليها من الادراكات " لان ذلك لو كان صحيحًا لوجب ان يكون الناس على طبقة واحدة من البلاغة في الانشاء اذا طالعوا كتبًا واحدة وجروا على اسلوب واحد من الدرس والحفظ

ويجب ايضاً ان يكونوا على استعداد واحد للجري على هذا الاسلوب الواحد. والمشاهد الذي لا يختلف فيه اثنان ان الناس لا يستطيعون ان يجروا على اسلوب واحد من الدرس والحفظ ولا يبلغون بلغاً واحداً من بلاغة الانشاء ويجرون على اسلوب واحد. والرأي الصواب هو ان العقول تختلف كاختلاف الوجوه وهذه الوسائل التي ذكروها تعلّم المرء صناعة الكتابة وصناعة الشعر وتجيد انشاءه حتى يكون صحيحاً مقبولاً ولكنها لا تجعله من طبقة كبار الكتّاب وكبار الشعراء كما ان علم الموسيقى لا يجعل كل احد مثل عبده ومحمد ونو مارس الغناء العمر كله

ثم ان اللغة العربية التي تكتبها في غير البلاد التي اكثرها والثانية مشتقة من الاولى كما لا يخفى ولكن اللغات كلها مشتقة بعضها من بعض ومتى بعدت لغة قوم عن لغة أسلافهم بمقدار ما بين العربية العامية والعربية المعربة جاز تسميتهما لغتين لا لغة واحدة. والكاتب بالعربية المعربة من ابناء هذا العصر يضطر ان يتعلمها تعلماً كما يضطر الايطالي الآن ان يتعلم اللغة اللاتينية اذا اراد ان يكتبها ان ان الذين تعلموا العربية المعربة وتخرجوا فيها وجدوا من المشقة في ذلك مثلما وجدوا في تعلم لغة اجنبية كالفرنسوية او الانكليزية. فلا تصير لنا ملكة العربية الآن ما لم ندرس قواعد صرفها ونحوها وبيانها ونكثر من مطالعة كتبها البليغة نظماً ونثراً شأن كل من يريد ان يتعلم لغة اجنبية لم يرضعها من اللبن. واذا فعل ذلك كله لم نبرع في الانشاء الا اذا كان فينا استعداد فطري لهذه البراعة ثم لا تكون البراعة تامة ما لم نتسع معارف جدًّا والا بقي ما ننشئه نثراً مزوقة لا لب فيها

اما الكتب التي تجب مطالعتها في كل لغة لتربية ملكة الانشاء فيها فهي الكتب التي لها اعظم سلطة على عقول اهلها او التي تستظهر اكثر من غيرها كالتوراة في الانكليزية والقرآن في العربية وبعض الكتب النثرية والشعرية التي ذكرها ابن الاثير وابن خلدون. وقد ذكر هربرت سبنسر كتباً تقابلها بالانكليزية والفرنسوية والايطالية لا حاجة بنا الى ذكرها هنا

البرابرة ولغتهم

مقام حضرة نعوم بك شقير

ان القوم الذين يطلق عليهم الآن اسم "البربرة" هم سكان وادي النيل بين الشلال الاول والرابع الذين يتكلمون بغير العربية. وهم في الاصل من ثلاثة اجناس نوبة وعرب واتراك. فالنوبة من بقايا سكان اثيوبيا وقد تنصروا في القرن السادس للميلاد وانشأوا ممالكين